﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران: 62]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

ما تكلَّمت به النَّصارى في شأن عيسى هو أكاذيبُ وتُرّهات لا تُوافقُ الواقِعَ:

في الآية إشارةٌ إلى ما تقدَّمَ ذِكرُه من الدَّلائل، ومِنَ الدُّعاء إلى المُباهَلة.

وما عُطِفَ على ذلك بالواو، هو اعتراضٌ لبيان ما اقتضاهُ قولُه: ﴿ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]؛ لأنَّهم نَفَوْا أن يكونَ عيسى عَبدًا لله، وزعمُواْ أنَّه غُلِبَ، فإثباتُ أنَّه عبدٌ هو الحقُّ[1]، "وإنّه تعالى هو ذو العزّة الّذي لا يغالبه فيها أحد، والحكمةِ الّتي لا يساويه فيها أحد، حتّى يكون شريكًا له في ألوهيّته، أو نِدًّا في ربوبيَّتِه"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلْقَصَصُ﴾: القَصُّ والقَصَصُ: تَتَبُّعٌ وتَتَابُعٌ مع تَسويةٍ، وقولهم: قَصَّ أثرَه، أي تتبَّعه، وفي القرآن قال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: 64]، ومن هذا الجذر: اقْتَصَصْتُ الحديثَ، بمعنى رويته على وجهه، والاسمُ القَصَصُ بالفتح؛ وُضِعَ موضع المصدر حتَّى صار أغلبَ عليه، والقِصَصُ - بالكسر -: جمعٌ للقصّة الّتي تكتب[3]، والقَصَصُ: هو الخَبرُ المُشتَمِلُ على المعاني المُتتابعة، تقولُ: قَصَّ يَقُصُّ قَصًّا وقَصَصًا، إذا تتبَّعَ الأمرَ يُخبِرُ به شيئًا بعدَ شَيءٍ، وأصلُه: اتِّباعُ الأثرِ، يُقالُ: خرجَ فلانٌ قَصَّا وقَصَصًا في أَثَرِ فُلانٍ، وذلك إذا اقتَصَّ أثَرَه[4]، و﴿ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾: خَبَرُ القرآنِ الصَّادق فيما أَخْبرَ به[5].

2) ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: أصلُ العِزّة: تَماسُكُ الجِرْمِ الرَّخْوِ، حتّى يَبلغَ الشِّدَّةَ والصَّلابةَ التّامّةَ،

(1) الرَّازيّ، مفاتيح الغيب: 8/250، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/266.
(2) القطّان، تيسير التّفسير: 1/200.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: 3/1051.
(4) الخليل، العين: (قصص)، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قصّ)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ (قصص، قصقص).
(5) الواحديّ، الوسيط: 1/446.

والعِزَّةُ: الشِّدَّةُ والقُوَّةُ والغَلَبَةُ والقَهْرُ والامتناعُ، والعَزِيزُ: القَوِيُّ الشّديدُ الغالِبُ المُمتنعُ على مَنْ يريدُه بالقَهْرِ والغَلَبَةِ، وهو ذو العِزَّةِ الّذي لا يُغالبُه أحدٌ في مُلكه[1]، والعزّة للّه تبارك وتعالى، واللّه العزيز لأنّه يُعِزّ من يشاء، ويُذِلّ من يشاء، وملك أعزّ: أي عزيز، قال الفرزدق:

إنَّ الَّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا *** بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ[2]

3) ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الحُكْمُ: المَنْعُ للإصلاحِ، والحَكِيمُ: المُتَّصِفُ بالحِكْمَةِ في قَولِه وفِعلِه[3]، الْحَكِيمُ: من صفات اللّه تعالى، يجوز أن يكون من صفاته لذاته بمعنى العالم، ويجوز أن يكون من صفات الفعل[4]، وفي لسان العرب عن ابن الأثير أنّ: "في أسماء اللّه تعالى الحكم والحكيم، وهما بمعنى الحاكم، وهو القاضي، فهو فعيل بمعنى فاعل، أو هو الّذي يُحكم الأشياء ويتقنها؛ فهو فعيل بمعنى مُفْعِلٌ"[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تأكيدُ أنَّ ما أَخبرَ اللهُ بِهِ عن عيسى ابنِ مريمَ هو الحَقُّ لاريب فيه:

إنَّ هذا الّذي ذَكَرْنا لكَ مِنْ شأن عيسى عليه السلام هو الخَبرُ الحقُّ الّذي لا كَذِبَ فيه ولا شَكَّ، لأنّه القصص الثّابت الّذي لَا مجال فيه لإنكار مُنكِر، ولا لتشكيك متشكّك؛ فالمسيح عيسى عليه السلام ليس إلهًا ولا ابنَ إله، بل عَبْدُ اللّهِ ورسولُهُ[6]، ومَا مِن مَعبودٍ بحقٍّ إلَّا اللّهُ وحدَه، وإنَّ اللّه لهو العزيزُ الّذي قَهَرَ كلَّ شيءٍ، وخَضَعَ له كلُّ شيءٍ، الحكيمُ الّذي يَضَعُ الأشياءَ مواضعَها[7].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

تَعَدُّدُ صِيَغِ التَّوْكِيدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾:

إنَّ اللّه ﷻ أكَّدَ على صِدْقِ هذه القَصَصِ القرآنيَّةِ - بالنَّظَرِ إلى حال المُخاطَبِ - وتمامِ صِحَّتِها وتَحقُّقِ وقوعِها، فأَثْبَتَها بطريق المعرفةِ، وبإسنادِ الحقِّ إليها، فهي ليست

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغبُ، المفردات: (عزّ)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عزز).
(2) الخليل، كتاب العين: (عزّ).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حكم).
(4) الحِمْيَرِيّ: شمس العلوم: (الحكيم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (حكم).
(6) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 3/1254.
(7) السَّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: ص 133، ونخبة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن، ص: 58.

مجرَّدَ خَيالاتٍ أو أَوهامٍ لا نَصيبَ لها مِن الحقيقةِ، بلْ هي الحقيقةُ نفسُها، ولم يَكتفِ السِّياقُ بتعريف المسند إليه بالإشارة ﴿هَٰذَا﴾ الدَّالِّ على تمييزِهِ أكملَ تمييزٍ؛ تعظيمًا لشأنِه، بلْ جاء بـ ﴿إِنَّ﴾ واللَّامِ المؤكِّدين، وضميرِ الفَصْلِ ﴿لَهُوَ﴾، وهو هنا مؤكِّدٌ، وحُلِّيَ خَبرُ ﴿إِنَّ﴾ باللَّامِ لإفادةِ القصرِ؛ ليكونَ مجموعُ ذلك تأكيدًا قويًّا لمضمونَ الجملة، وهي بهذا صيغةُ خبرٍ إنكاريٍّ[1].

تَحْرِيكُ نُفُوسِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لِتَلَمُّسِ الْحَقِّ وَطَلَبِهِ

وما ذاكَ إلَّا لزَعْزعةِ ثِقة أصحابِ المِلَلِ بدِينِهم؛ بعثًا لهم على تلمُّسِ الحقِّ وطلَبِهِ، فكأنَّ اللّٰه تعالى يقولُ لهم: إنَّ هذا هو القَصَصُ الحقُّ وحدَه، لا ما تَقُصُّه كُتُبُ أصحابِ المِلَلِ الأُخرى وعقائدهم.

دِلَالَةُ الْقَصْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾:

في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ أسلوبُ قصرٍ؛ وذلك بتعريفِ المسند إليه ﴿هَٰذَا﴾ بالإشارة، وتعريف المسند ﴿ٱلْقَصَصُ﴾ باللَّام؛ وضمير الفصل ﴿لَهُوَ﴾ ليس دالًّا ههنا على القصر؛ لأنَّ شرط إفادتِهِ القصرَ أن يستقلَّ بكونِهِ طريقًا له، أمَّا إذا اقترنَ به ما يُفيد القصرَ؛ فإنَّه يكون مؤكِّدًا كما في هذه الآية.

خَبَرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ عِيسَى عليه السلام هُوَ الْحَقُّ، وَمَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِيهِ مَحْضُ الْبَاطِلِ

والقَصرُ إضافيٌّ؛ وبيانُ ذلك: أنَّ المقصور في تعريفِ جزأيِ الجملةِ هو المعرَّف باللَّام - تقدَّمَ أو تأخَّر -؛ فيكون المعنى قصرَ القصصِ الحقِّ على نبأ عيسى عليه السلام المذكور قبلُ، مع وجودِ حقٍّ كثيرٍ في قصص القرآن الكريم عن غيره، إلَّا أنَّ القصرَ وقع إضافيًّا بالنِّسبة إلى ما زوَّره النَّصارى وافترَوه عن عيسى عليه السلام؛ من كونِهِ إلهًا أو ابنَ اللّٰه، سبحانَه وتعالى عمَّا يقولُ الظَّالمون عُلوًّا كبيرًا[2]، بل ذلك محضُ الباطلِ.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/190، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/267، وأبو سمعان، التراكيب النّحوية، ص: 37.
(2) الدّريهم، سورة آل عمران دراسة بلاغيّة، ص: 128.

دلَالةُ الْقَصْرِ في قَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾:

اللهُ تَعَالَى هُوَ وَحْدَهُ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ

في قول الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قصرُ الأُلوهيَّةِ الحقَّةِ على الله تعالى، وهو قصرٌ حقيقيٌّ تَحقيقيٌّ، فالألوهيَّةُ الحقَّةُ لله تعالى لا تتعدَّاه إلى غيره، فلا يُصرَفُ شيءٌ من أفرادِ العبادة إلى غيرِهِ، وَصَرْفُ شيءٍ مِن ذلك لغيرِ الله تعالى شِركٌ مُحبِطٌ للعَملِ، وتَعَدٍّ على الذّاتِ العَلِيَّةِ[1].

دِلَالَةُ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾:

مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَقْرِيرُ التَّوْحِيدِ وَإِنْكَارُ الشِّرْكِ

الحروفُ الزَّائدةُ في القرآنِ الكريمِ زائدةٌ من حيثُ الإعرابُ فحسبُ، وإلَّا فهي تُفيدُ معنًى زائدًا على ما لو لم تكنْ موجودةً، وجاءت ﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ لتفيدَ الاستغراقَ نصًّا؛ إذِ الاستغراقُ يُفْهَمُ من إيرادِ ﴿إِلَٰهٍ﴾ نكرةً في سياق النَّفْيِ، إلَّا أنَّ هذا الاستغراقَ ظاهرٌ وليس نَصًّا، ولذا جيءَ بـ ﴿مِنْ﴾ لتفيدَ الاستغراقَ نصًّا؛ للرَّدِّ على الثّنويّة والنَّصارى، وكلِّ مَنْ يدَّعي إلهًا غيرَ اللهِ تعالى؛ فالجملةُ دالَّةٌ على التَّوحيد، ونفيِ الشَّريكِ بالتَّصريحِ ودَلالةِ المُطابقةِ[2].

نُكْتَةُ الْإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

الِاسْمُ الْأَحْسَنُ (اللـه) جَامِعٌ لِمَعَانِي الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ وَالْجَمَالِ

جاءَ تَكرارُ اسمِ اللهِ تعالى في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في سِياق التَّأكيدِ على تفرُّدِه تعالى بالألوهيَّةِ الحقَّةِ المُطلَقةِ، وقد وَرَدَ الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهَ﴾ الثّاني مُظهَرًا في مَوضِعِ الإضمارِ؛ إذ كان مقتضى الظَّاهر أن يُقال: وإنَّه لهو العزيز الحكيم، ونكتةُ الإظهار في موضع الإضمار: تأكيد معنى

(1) الدّريهم، سورة آل عمران دراسة بلاغيّة، ص: 253.

(2) الواحديّ، البسيط: 5/326، وأبو السُّعود، إرشادُ العقل السَّليم: 2/47، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 2/267، والعثيمين، تفسير القرآن الكريم، (سورة آل عمران)، ص: 361.

الألوهيَّةِ، وتَربيةُ المَهابة؛ لما في الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهُ﴾ من جمعِ معاني الكمال والجلال والجمال[1].

نُكْتَةُ تَأْكِيدِ قَوْلِهِ: ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْمُؤَكِّدَاتِ:

لَا يَكُونُ الْإِلَـهُ الْحَقُّ إِلَّا عَزِيزًا حَكِيمًا

هذه الجملة - ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ - جملةٌ خبريَّةٌ مؤكَّدَةٌ بأربعةِ مؤكدات:

أولها: (إنّ) في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ﴾.

ثانيها: الْقَصْرُ؛ وذلك بتعريفِ جُزْأَيِ الجملةِ.

ثالثها: ضمير الفصل ﴿لَهُوَ﴾؛ فإنَّه يقوِّي القصرَ في الجملةِ إذا وُجِدَ طريقٌ لِلْقصرِ فيهَا - كما في هذهِ الآية -.

رابعها: اسمية الجملة؛ فإنَّها آكدُ مِنَ الفعليَّةِ؛ لِما تُفيده مِنَ الثَّبات والدَّوام.

وفي تأكيدِهَا هذا التَّأكيدَ إثباتُ ألوهيَّةِ الله تعالى، ونفي استحقاق غيرِهِ شيئًا من العبادة، ومن ذلك نَفْيُ أن يكون عيسى عليه السلام إلَهًا؛ فإنَّ النَّصارى زعمُوا أنَّ اليهودَ قتلوهُ، "وذلك ذِلَّةٌ وعَجْزٌ، لا يلتئمان مع الإلهيَّة، فكيف يكون إلهًا وهو غيرُ عزيزٍ، وهو محكومٌ عليه؟! وهو أيضًا إبطالٌ لإلهيَّته على اعتقادنا؛ لأنَّه كان محتاجًا لإنقاذهِ مِنْ أيدي الظَّالمين"[2].

دِلَالَةُ الْقَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾:

تَفْنِيدُ أُلُوهيَّةِ الْمَسِيحِ عليه السلام

في قول الله تعالى: ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قصرُ العزَّة والحكمةِ على الله تعالى.

وطريقُ القصر: تعريفُ جزأَيِ الجملةِ، وهو قصر إضافيٌّ؛ إذ العزَّة والحكمةِ ثابتةٌ لغير الله تعالى على ما يليقُ بضعفِ حالِ

(1) الدّبل، البلاغة القرآنيّة: 1/465.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/267.

المخلوقِ، وهما في حقِّ اللّه تعالى لا منتهَى لكمالِهِمَا، والمرادُ مِنَ القصرِ ههنا: إبطالُ ألوهيَّةِ المسيحِ [1] عليه السلام.

دلَالَةُ اقْتِرَانِ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ بِـ ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ فِي الْفَاصِلَةِ:

اقْـتِرَانُ أَسْـمَـاءِ اللهِ تَـعَالَى دَالٌّ عَـلَى كَـمَالٍ زَائِدٍ عَلَى مَا يُفيدُهُ كُلُّ اسْـمٍ مِنْـهَا عَـلَى سَبِيلِ الِانْفِرَادِ

اسما اللّهِ تعالى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ يدلُّ كلُّ واحدٍ منهما على الكمال الخاصِّ الذي يقتضيهِ، وهو كمال العزَّة في اسم اللّه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾، والحُكْمُ والحِكمَة في اسمه سبحانه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾، والجمع بينهما دالٌّ على كمالٍ آخرَ وهو: أنَّ عزَّته سبحانه مقرونةٌ بالحكمة؛ فعزَّتُهُ لا تستلزمُ ظلمًا سوءَ فعلٍ، كما قد يكون من عزَّة المخلوقِ، وكذا حُكْمُه وحِكْمَتُهُ مقرونَان بالعزِّ الكامل، بخلاف الوصفَيْنِ في المخلوقِ؛ فيعتريهما ذلٌّ [2].

ويعْظُمُ معنى الصِّفاتِ المذكورة - العزَّة والحُكْمُ والحِكْمَة - في حقِّ اللّه تعالى؛ لدخولِ اللَّامِ المفيدَةِ استغراقَ الوصفِ، أي: هُوَ الجامِعُ لكُلِّ عِزَّةٍ وحِكمةٍ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/267.
(2) ابن عثيمين، القواعد المثلى، ص: 7 - 8.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»